الرد على شبهة الشيخ المفيد في علم المعصوم وشبهة إلقاء نفسه للتهلكة

بقلم

المولى الميرزا

موسى الحائري الأسكوئي

صاحب كتاب (إحقاق الحق)

مقتبس من رسالة مخطوطة

[الشيخ المفيد وعلم المعصوم]

ومنهم الشيخ الجليل المفيد[1] عليه الرحمة الذي هو من معتمدي أساطين الدين، وخرج في حقه توقيعات من الناحية المقدسة، وفي بعضها بـ(يا أخي وفقك الله)، و(يا أخي سددك الله)[2]، وعزاه الحجة عجل الله فرجه بعد وفاته بأبيات معروفة[3].

قال في رسالة أجوبة المسائل الحاجبية[4] في مسألة العشرين، قال السائل: (الإمام عندنا على أنه يعلم ما يكون، فما بال أمير المؤمنين خرج إلى المسجد وهو يعلم أنه مقتول وقد عرف قاتله والوقت والزمان؟ وما بال الحسين عليه السلام صار إلى أهل الكوفة وقد علم أنهم يخذلونه ولا ينصرونه؟ وأنه مقتول في سفرته تلك؟ ولم لما حوصر وقد علم أن الماء منه لو حفر على أذرع يسيرة ولم يحفر، ولم أعان على نفسه حتى تلف عطشاً؟ والحسن عليه السلام وادع معاوية وهو يعلم أنه ينكث ولا يفي، ويقتل شيعة أبيه عليهما السلام؟

---

[1] أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي البغدادي، ولد سنة ٣٣٨هـ، وتوفي سنة ٤١٣هـ، له العديد من المصنفات منها الايضاح في الإمامة، والمقنعة في الفقه. راجع معالم العلماء، ص١٤٩.

[2] جاء في التوقيع: (للأخ السديد، والولي الرشيد، الشيخ المفيد ... سلام عليك أيها الولي المخلص في الدين)، وفي آخره: (هذا كتابنا إليك أيها الأخ الولي، والمخلص في ودنا الصفي، والناصر لنا الوفي، حرسك الله بعينه التي لا تنام) الاحتجاج، ج٢ ص٣٢٢.

[3] نقل ذلك القاضي نور الله الشوشتري في مجالس المؤمنين، ج١ ص٤٧٧. عنه بحار الأنوار، ج٥٣ ص٢٥٥.

[4] وتسمى العكبرية.

قال: (والجواب وبالله التوفيق: قوله: إن الإمام يعلم ما يكون بإجماعنا. إن الأمر على خلاف ما قال، وما أجمعت الشيعة قط على هذا القول، وإنما إجماعهم ثابت على أن الإمام يعلم الحكم في كل ما يكون، دون أن يكون عالماً بأعيان ما يحدث، ويكون على التفصيل والتمييز، وهذا يسقط الأصل الذي بنى عليه الأسئلة بأجمعها).

إلى أن قال في الفصل الثاني: (والقول بأن أمير المؤمنين عليه السلام كان يعلم قاتله، والوقت الذي يقتل فيه، فقد جاء الخبر متظاهراً أنه كان يعلم في الجملة أنه مقتول، جاء أيضاً بأنه كان يعلم قاتله على التفصيل، فأما علمه في وقت قتله فلم يأت فيه أثر على التفصيل، ولو جاء به أثر لم يلزم ما ظنه المستضعفون، إذ كان لا يمتنع أن يتعبده الله بالصبر على الشهادة، والاستسلام للقتل، ليبلغه الله بذلك من علو الدرجة ما لا يبلغه إلا به، ولعلمه تعالى بأنه يطيعه في ذلك طاعة لو كلفها سواه لم يؤدها، ويكون في المعلوم من اللطف بهذا التكليف لخلق من الناس ما لا يقوم مقامه غيره، فلا يكون بذلك أمير المؤمنين عليه السلام ملقياً بيده إلى التهلكة، ولا معيناً على نفسه معونة مستقبحة في العقول.

فأما علم الحسين عليه السلام بأن أهل الكوفة خاذلوه، فلسنا نقطع على ذلك، إذ لا حجة عليه من عقل ولا سمع، ولو كان عالماً بذلك لكان الجواب

عنه ما قدمناه في الجواب عن أمير المؤمنين عليه السلام بوقت قتله، والمعرفة بقاتله لما ذكرنا)[٥] انتهى.

انظر إلى كلماته -أنار الله برهانه- ففي هذا الزمان لا يخفى على أهله ما في كل فقرة فقرة من تلك الكلمات من إنكار البديهيات، وخلاف ما تظافرت عليه الأخبار الصحيحة المصرحة في خلاف ما قال، ونحن عمداً لا نتعرض لها خوفاً من التجاسر، لكن نذكر لك مطلباً واحداً ينفتح لك به أبواب كثيرة، وتتمكن به على جواب السائل بأحسن وجه، بحيث لا يلزم منه المفاسد، بل تصح به العقائد وهو:

أن الأصل في علمهم سلام الله عليهم بالأحكام والأعيان ما كان وما يكون وما هو كائن هو علمهم بالتقرير الذي فصلناه في كتاب (إحقاق الحق)[٦]، إذ هم كما برهنا عليه أول المخلوقات[٧]، والسبب الأعظم لها[٨]، ولم

---

٥) المسائل العكبرية، ص٦٩-٧١.

٦) إحقاق الحق، المقالة الحادية عشر في علم الإمام عليه السلام، وقد أجاد وأفاد أعلى الله له المقام مع السادة الأمجاد.

٧) روى جابر بن عبدالله قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله: أول شيء خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: (نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثم خلق منه كل خير، ثم أقامه بين يديه في مقام القرب ما شاء الله، ثم جعله أقساماً، فخلق العرش من قسم، والكرسي من قسم، وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الحب ما شاء الله، ثم جعله أقساماً فخلق القلم من قسم، واللوح من قسم، والجنة من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الخوف ما شاء الله ثم جعله أجزاءً، فخلق الملائكة من جزء، والشمس من جزء، والقمر والكواكب من جزء، وأقام القسم الرابع في مقام الرجاء ما شاء الله، ثم جعله أجزاءً فخلق العقل من جزء، والعلم والحلم من جزء، والعصمة والتوفيق من جزء، وأقام القسم الرابع

يخلق الله الأشياء إلا بهم، ولم يظهر شيء إلى الوجود إلا منهم، وبهم، وعلى أيديهم، ولذا جعلهم الله حججاً عليها، وشاهداً عليها من الدرة إلى الذرة، في كل العوالم غيبها وشهودها، وتصرح به الأخبار المتواترة معنى.

ثم إنهم شهداء دار الفناء كما في الزيارة الجامعة[٩]، والجمع المضاف يفيد العموم، وتنطق بها الآيات: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾[١٠]، والأئمة هم المؤمنون في الآية بنص الصادق عليه السلام[١١]، ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾[١٢]، ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾[١٣]، وغيرها من الآيات، فهل معنى لشهادتهم على أحكام

في مقام الحياء ما شاء الله، ثم نظر إليه بعين الهيبة فرشح ذلك النور وقطرت منه مائة ألف وأربعة وعشرون ألف قطرة فخلق الله من كل قطرة روح نبي ورسول، ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسها أرواح الأولياء والشهداء والصالحين) بحار الأنوار، ج٢٥ ص٢١ ب١.

٨) قال مولانا الإمام الصادق عليه السلام: (نحن السبب بينكم وبين الله تعالى) [أمالي الطوسي، ص١٥٧]، وجاء في دعاء الندبة: (أين السبب المتصل بين الأرض والسماء) [بحار الأنوار، ج٩٩ ص١٠٧].

٩) الزيارة الجامعة الكبيرة، من لا يحضره الفقيه، ج٢ ص٦١١.

١٠) التوبة، ١٠٥.

١١) راجع تفسير القمي، ج١ ص٣٠٤.

١٢) النساء، ٤١.

١٣) البقرة، ١٤٣.

الخلق التي بلغوها، أو هم شهداء على أنفس المخلوقات، وأعمالهم، وحركاتهم، وسكناتهم، التي تصدر منهم.

وأيضاً بلا شك ولا ريب أنهم حجج الله على خلقه، في جميع العوالم، أعيانهم وأحكامهم، وكيف يغيب المحجوج عن نظر الحجة عليه ويحجبه عنه ويستر عنه[١٤]!؟

الحاصل، فلا يلزم من علمهم عليهم السلام بقتل وسم أنفسهم وإقدامهم عليها محذور واحد وهو إلقاء أنفسهم بأيديهم إلى التهلكة، وكونهم معينين على أنفسهم، وهذا عند من له أدنى بصيرة مما يضيق ببيان مفاسده الطروس، ولا يضيق بكتمانها النفوس، إذ إقدام أمير المؤمنين والحسن والحسين وسائر الأئمة عليهم السلام على القتل والسم هل كان من أنفسهم أو بأمر من الله سبحانه؟ إن كان العياذ بالله من أنفسهم وإتباع هواهم كسائر الناس صح ما قال، ولزم ما لزم.

والحاصل: أنه لم يقل بذلك أحد من فرق الشيعة، فضلاً عن الإثني عشرية، وإن كان إقدامهم على القتل والسم وغيرها في جميع أفعالهم وحركاتهم

---

[١٤]) عن إسماعيل الأزرق قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (إن الله أحكم وأكرم وأجل وأعلم من أن يكون احتج على عباده بحجة ثم يغيب عنه شيئا من أمرهم)، وعن عبد العزيز الصائغ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (أترى أن الله استرعى راعياً واستخلف خليفة عليهم يحجب عنه شيئاً من أمورهم) بصائر الدرجات، ص٣٤.

وسكناتهم وأحوالهم وتقلباتهم بأمر من الله ورضائه سبحانه كما صرح به الآية: ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[١٥].

فما معنى إلقاء أنفسهم إلى التهلكة؟! وإعانتهم على إهلاك أنفسهم؟! بل مع علمهم بالشهادة في هذه الصورة، إن لم يقدموا إليها لكانوا ممن ألقى نفسه إلى التهلكة، إذ عملوا بخلاف أمر الله ورضاه، وهو الهلاك الأبدي، مثل أن النبي أو الإمام إذا أمر واحداً من الناس بالخروج على العدو والجهاد معه حتى يقتل في سبيل الله، ولا يرجع حتى يقتل، هل يقال أن هذا الرجل أعان على نفسه وألقى نفسه بيده إلى التهلكة؟! أو يقال قد أدرك السعادة الأبدية بالشهادة وامتثاله لأمر النبي أو الإمام، وهل يمكن لهذا الرجل أن يخالف أمر النبي أو الإمام ولا يخرج إلى القتال، ويعتذر بأن الله نهاه عن ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[١٦]؟!

الحاصل: فامتثال أمر الله، وتحصيل رضاه، هو النجاة والسعادة الأبدية، وإن كان فيه هلاك نفسه بأشد ما يكون، ومخالفة أمر الله هي الشقاوة السرمدية، والهلاك الأبدي، وإن كان فيه حياة نفسه ونجاتها.

فظهر أن إقدام الأئمة عليهم السلام إلى الشهادة والقتل وأكل السم مع علمهم بها كان بأمر من الله ورضاه، وهو الحياة الدائمة والنجاة الأبدية، لا الهلاك العياذ بالله .

---

[١٥] الأنبياء: ٢٦-٢٧.

[١٦] البقرة، ١٩٥.

وقال أيضاً الشيخ الجليل في تلك الرسالة في جواب المسألة الخامسة: (وقد كان نبينا محمد صلى الله عليه وآله أفضل النبيين، وأعلم المرسلين، ولم يكن محيطاً بعلم النجوم، ولا متعرضاً لذلك، ولا يتأتى منه قول الشعر، ولا ينبغي له، وكان أمياً بنص التنزيل، ولم يتعاط معرفة الصنائع، ولما أراد المدينة استأجر دليلاً على سنن الطريق، وكان يسأل عن الأخبار، ويخفى عليه منها ما لم يأتِ به إليه صادق من الناس)[١٧] انتهى.

وكفانا من نقل كلماته -أنار الله برهانه- ما ذكرنا، فلنتعرض عن التعرض بالنقل من غير تلك الرسالة، ومن التعرض باظهار خافيه وبيان ما فيه إجلالاً له، وتعظيماً لشأنه، وإتكالاً على فهم البصير الناقد.

الحاصل، فعلم الأئمة والحسين عليهم السلام بيوم وساعة قتلهم، ومحل شهادتهم، مما لا ينكره في زماننا هذا أحد من الشيعة، بل يحسبونه من أوضح الواضحات، وأبده البديهيات، وكذلك إحاطة علم نبينا صلى الله عليه وآله بكل العلوم فضلاً عن علم النجوم، مع ذلك كله ما تجاسر أحد بالتكلم فيه بما لا يليق بشأنه، بل يحمله على المحمل الصحيح كالتسديد ونحوه.

---

[١٧] المسائل العكبرية، ص٣٤.